القيامة في الإنجيل بحسب مرقس

خاتمة إنجيل الله (مر ١٦)

الأرشمندريت د. جاك خليل
أستاذ مادة الكتاب المقدس في جامعتَي البلمند
والروح القدس، الكسليك

تمهيد

شكّلت مسألة نهاية الإنجيل بحسب مرقس، منذ القرن الرابع حتى يومنا هذا، موضوعًا شائكًا تنوّعت حوله الآراء. فبينما تشير القرائن الخارجيّة والداخليّة إلى عدم أصالة المقطع ١٦: ٩–٢٠، لا يزال بعض الدارسين يجزمون أنّ الآيات ١٦: ١–٨ ليست خاتمة الإنجيل التي قصدها الإنجيلي؛ ومنهم من يذهب إلى أنّ الإنجيلي لا بدّ من أنّه كتب خاتمةً أخرى فُقدت قبل أن تنتشر. سبب هذا الاعتقاد هو الانقطاع المفاجئ الذي يبقى غير مفهومٍ عند القراءة البسيطة للنصّ، وكذلك غياب روايات عن الظهورات التي تمّت بعد القيامة على غرار الأناجيل الثلاثة الأخرى. أمّا الذين لا يعتبرون هذه الفرضيّة ضروريّة، فهم يبحثون في البنية السرديّة للإنجيل عن الرسالة المحتملة التي فضّل الإنجيلي إيصالها بتوقّفه عن متابعة سرده عند هذا الحدّ، وعلى القارئ الضمنيّ (implicit reader) أن يُدرك هذه الرسالة.

من المعلوم أنّ النظريات المتنوّعة عن القراءة توضح أنّ القارئ ينتظر الخاتمة لكي يكتمل عنده فهم مجمل العمل الأدبي(١)؛ وحين ينتهي سردٌ ما على نحوٍ غير متوقّع، يترك عنصرُ المفاجأة لدى القارئ تأثيرًا بالغًا، يدفعه إلى التفكّر مليًّا

(١) أنظر Camille Focant, *L'évangile selon Marc*, Commentaire biblique: Nouveau Testament 2, Cerf, Paris, 2004, 599.

كي يفهم قصد الكاتب بانسجام مع البنية التي اتبعها هذا الأخير[٢]. ولا غرو في أنّ الخاتمة القصيرة للإنجيل بحسب مرقس تترك القارئ أمام سؤالَين أساسيّين، ترتبط الإجابة عليهما بفهم قصد الإنجيلي من النهاية التي دوّنها.

السؤال الأوّل هو: لماذا ذهبت النسوة من دون أن يُخبرن أحدًا شيئًا عمّا شاهدن وسمعن في القبر؟ والثاني يذهب في الاتّجاه نفسه: لماذا ختم الإنجيلي السرد من دون أن يكتب لنا شيئًا عن ظهورات للرب يسوع بعد القيامة؟ ولا سيّما أنّه يذكر وعد الربّ يسوع بملاقاة تلاميذه في الجليل بعد أن يقوم في اليوم الثالث لصلبه وموته (١٤: ٢٨)، ويؤكّد هذا الوعد في إعلان الشاب لحاملات الطيب (١٦: ٧).

كثرت النظريات التي ارتكزت على استنتاجات ذاتيّة من هذا الإبهام الظاهري، وأخيرًا ذهب الكثير منها بعيدًا جدًا، إلى حدّ اعتبار بعضهم الإنجيل بحسب مرقس مارقًا عن إيمان الكنيسة الجامعة في القرن الأوّل، لأنه، كما يزعمون، لا يشارك الأناجيل الأخرى النظرةَ ذاتها إلى حقيقة قيامة المسيح. ولعلّ هذا الانقطاع المفاجئ كان أحد أسباب استثناء بعضهم، على نحو مستغرب، أيّ ذكر للقيامة في الحديث عن مسيرة يسوع في الإنجيل بحسب مرقس، والتي تُحدّد بدايتها عند معموديّته ونهايتها عند موته[٣].

يقول كميل فوكان إنّه لفهم مسيرة الرب يسوع، لا يجد قارئ الإنجيل بحسب مرقس أمامه سوى قصصٍ عمّا فعلَهُ، قد وُضعت في تسلسل أراده الإنجيلي. ويضيف فوكان، إنّ الحبكة هي التي تكشف الكثير. ويستدرك أنّ القارئ يجد، علاوةً على ذلك، بعض المعلومات المقتضبة التي تأتي من الراوي

(٢) F. Kermode, *The Genesis of Secrecy. On the Interpretation of Narrative*, Cambridge MA, 1979, 65-67 (نقلاً عن C. Focant, *Marc*, 599).

(٣) أنظر على سبيل المثال تحديد مسيرة يسوع عند C. Focant, *Marc*, 45.

أو من صوت سماويّ[٤]. وفقًا لهذه النظرة، تحاول هذه الدراسة الوصول إلى الرسالة القياميّة التي يبلّغها الإنجيلي من خلال البنية التي سرد فيها أفعال الرب يسوع وأقواله وآلامه حتى قيامته. ولبلوغ هذا الهدف يتوسّل البحث المراحل التالية:

١. توضيح هويّة الشاب الذي أعلن القيامة (١٦: ٥–٨)؛

٢. الإشارة إلى بعض نقاط التلاقي بين الديوان البولسي والإنجيل بحسب مرقس؛

٣. تحليل الوظيفة السرديّة لإعلان الشاب في مر ١٦: ٦–٧، بالارتكاز على الطرح المقدّم في المرحلتين التمهيديّتين (١ و٢)، وتبيان مكانة هذا الإعلان في مجمل السرد؛

٤. ختامًا، الاستدلال من الإعلانات المسبقة عن القيامة، وكذلك من الأحداث التي تشعّ نورًا قياميًّا، عن المكانة التي تحتلّها القيامة في البنية السرديّة للإنجيل.

قبل الغوص في دراسة أيّ مسألة، أرى أنّه من الضروري توضيح موقفين أتبنّاهما: الأوّل، هو أنّي أوافق يواخيم غنيلكا[٥] (Joachim Gnilka) وريمون براون[٦] (Raymond Brown) في تبنّيهما الرأي السائد منذ القديم، واعتبارهما الشاب الذي أعلن القيامة في مر ١٦ ملاكًا؛ وإنّني أجد الدلائل التي يقدّمانها

---

(٤) C. Focant, 44-45.

(٥) Joachim Gnilka, *Das Evangelium nach Markus II (Mk 8,27-16,20)*, EKK II/2, Benziger Verlag/Neukirchener Verlag, Zürich/Düsseldorf/ Neukirchen-Vluyn, ⁵1999, 341-342 & n. 20.

(٦) Raymond Brown, *A Risen Christ in Eastertime: Essays on the Gospel Narratives of the Resurrection*, The Liturgical Press, Collegeville – Minnesota, 1990, p. 13 (see also note 11).

بهذا الصدد على قدر وافٍ من الدقّة العلميّة والمنطق والإقناع. وأمّا الثاني، فهو أنّي أرى التقاءً واضحًا بين الإنجيل بحسب مرقس ورسائل بولس الرسول، لا في التعابير اللغويّة فحسب، بل أيضًا في طرح أفكار لاهوتيّة يتميّزان بها، وسيتمّ توضيح هذه النقطة في سياق التفسير.

إنجيل الله

إنّ إعلان القيامة في الإنجيل بحسب مرقس قد تمّ بقول الشاب لحاملات الطيب: "لا تخفن، أنتنّ تطلبن يسوع الناصري المصلوب، لقد قام، ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس: إنّه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه، كما قال لكم" (مر ١٦: ٦-٧).

بعد إعلان الملاك القيامةَ للنسوة، أوصاهم بأن يذكّرنَ الرسل بوعد الربّ لهم، أي بأنّه سيسبقهم إلى الجليل بعد قيامته (مر ١٦: ٧). وقد كان الربّ قد كشف هذا للتلاميذ في بستان الزيتون قبل اعتقاله، قائلاً: "كلّكم تشكّكون، لأنه مكتوب: أضرب الراعي فتتبدّد الخراف. ولكن بعد أن أقوم سأسبقكم إلى الجليل" (مر ١٤: ٢٧-٢٨). القيامة، إذًا، كانت الوعد المعطى للتلاميذ، ليمدّهم بالأمل، وليتركهم في ترقّب الخاتمة، ولو مشكّكين، كما تنبّأ الربّ يسوع لهم، ولكن يجب عدم اعتبار إعلانه القيامة مسبقًا في مر ١٤: ٢٧-٢٨ تمهيدًا لقصّة الآلام فحسب، بل إنّ الأهمّ هو أنّه يشكل إلى جانب إعلان بشرى القيامة من الشاب في القبر تضمينًا كبيرًا[٧]، يصرّ كلّ سرد الآلام بين رجاء القيامة وبشرى الانتصار.

(٧) Raymond Brown, *A Risen Christ in Eastertime : Essays on the Gospel Narratives of the Resurrection*, The Liturgical Press, Collegeville – Minnesota, 1990, p. 15 note 13.
Elian Cuvillier, "La résurrection dans l'évangile de Marc ou: la finale courte… et puis avant?", dans: Daniel Marguerat (éd.), *Quand la Bible se raconte*, Lire la Bible, Cerf, Paris, 2003, p. 108.

وعلى الرغم من أنّ الإنجيل لا يُخبر عن ظهورات بعد القيامة، فإنّه لا يمكننا اعتبار إعلان القيامة ناقصًا؛ لا بل على العكس، فإنّه يؤكّد حدوثها من دون إبهام. لقد أعلن الملاك بوضوح أنّ المسيح قد قام، ثمّ ما لبث أن طلب من حاملات الطيب استنتاج هذه الحقيقة من القبر الذي غادره المصلوب ("ليس هو ههنا"، ١٦: ٦). إذًا، فمن الواضح جدًّا أنّ الإنجيلي مرقس لا يُبقي مجالاً للشكّ بأنّ المسيح قد قام.

وفي ما يختصّ بفحوى الإعلان، تجدرُ الملاحظة أنّ لقب "المصلوب" (ἐσταυρωμένον)، الذي يُعرِّف به الشاب عن يسوع الناصري، يسبق مباشرةً التأكيد القويّ: "قد قام" (ἠγέρθη). فكما عند الإعلانات المسبقة عن الأحداث الخلاصيّة، كذلك بعد تحقيقها يُلازم الصليب القيامة دائمًا. بالنسبة إلى الإنجيلي مرقس، ومثلما حفظ التسليم المسيحي الأقدم، وبشكل خاصّ وأوضح الكرازة البولسيّة، فإنّ الصليب والقيامة يشكلان ركيزتَيّ الإيمان الأساسيّتين. قيامة الربّ بهيّةٌ منيرةٌ لأنّ الربّ صُلب ومات، لأنّه كان "يجب (δεῖ) أن يُقتل وأن يقوم في اليوم الثالث" (مر ٨: ٣١؛ لذا، في ظهورات القيامة خارج الإنجيل بحسب مرقس، يؤكّد الربّ أنّه هو الذي صُلب).

في ١تس ٤: ١٤، يشير فعل "نؤمن" إلى أنّ الكلمات التي يقدّمها "إنّ يسوع مات وقام" هي اعترافٌ إيماني يوازي ما قيل في ١كو ١٥: ٣ب، ٤: "المسيح مات... و... قام"، وفي رو ٨: ٣٤: "المسيح يسوع الذي مات بل بالحريّ قام"، وفي ٢كو ٥: ١٥: "...للذي مات لأجلهم وقام"(٨). على ضوء هذا، يبدو كلام الشاب في مر ١٦: ٦-٧ كأنّه إعلانٌ إيماني من هذا القبيل، يذكّر إلى حدّ بعيد بالكرازة البولسيّة التي يشكّل "يسوع المسيح المصلوب والقائم" موضوعها

(٨) Otfried Hofius, "Am dritten Tag auferstanden von den Toten. Erwägungen zum Passiv ἐγείρεσθαι in christologischen Aussagen des Neuen Testament", in: *Paulusstudien II*, WUNT 143, Mohr Siebeck, Tübingen, 2002, p. 205.

المركزي (١كو ١: ٢٣؛ راجع ٢: ٢ وغل٣: ١). من هنا يمكننا أن نقول بثقة، إنّه، مع قول الملاك "المصلوب قام"، يبلغ المقطع، لا بل الإنجيلُ بكامله، ذروته. منذ البداية، يعرّف مرقس بمؤلّفه على أنه "إنجيل يسوع المسيح"، أي كلُّ ما يتبع هو هذا الإنجيل الذي يبلغ غايته ويُختم بإعلانٍ إلهيّ[٩] يختصر فحوى الإنجيل: إنّ "يسوع الناصري[١٠] المصلوب قد قام"، فيتشكّل بهذا تضمينٌ (inclusio) يربط بين الجملة الأولى وإعلان قيامة يسوع المصلوب، لكي يشمل المؤلّف بأكمله.

أمّا في ما يتعلّق ببداية هذا الإنجيل، فإنّ دراسة بنية الجملة الافتتاحيّة تشير إلى أنّ التسمية "إنجيل يسوع المسيح" (εὐαγγέλιον Ἰησοῦ Χριστοῦ) تحمل معنىً مزدوجًا، يتبدّل وفق طريقة تفسيرنا للتعريف المضاف "يسوع المسيح" (Ἰησοῦ Χριστοῦ)[١١]:

١- عندما تُفهم الإضافة على أنّها إضافة المفعول به (genetivus objectivus)، يكون الكتاب هو الكرازة بيسوع المسيح، التي تبلغ ذروتها في إعلان قيامته من بين الأموات.

٢- وإذا ما كانت الإضافة تعريفًا بفاعل الكرازة (genetivus subjectivus)، يُستنتج منها أنّ الإنجيل يتألّف من كرازة ابن الله وأعماله، وعلى الأخصّ من خبر موته وقيامته. لذا، يصحّ القول بأنّ الناصري، ابن الله، المصلوب والقائم، هو الفاعل، أي من يتمّم الإنجيل. هذا من ناحيةٍ أولى، ومن الناحيةِ الأخرى نلاحظ،

(٩) بما أنّ كرازة قيامة المسيح من بين الأموات قد أتت من فم المرسل السماوي وجب اعتبارها كلمة إعلان صادرة عن الله.

(١٠) ربما في الكلمة إشارة إلى تجسده (راجع J. Gnilka, *Markus* II, 342).

(١١) راجع Joachim Gnilka, *Das Evangelium nach Markus I (Mk 1-8,26)*, EKK II/1, Benziger Verlag/Neukirchener Verlag, Zürich/Düsseldorf/ Neukirchen-Vluyn, 1998⁵, 43

بناءً على هذا التفسير، ارتباط الآية ١:١ بالآية ١: ١٤، حيث يسمّى الإنجيل "إنجيل الله" ويسوع المسيح، ابنه، هو الذي يكرز به، علمًا بأنّ تسمية "إنجيل الله" ترد أيضًا ٩ مراتٍ خارج الإنجيل بحسب مرقس، ثمانٍ منها في رسائل بولس الرسول وواحدة فقط خارجها(١٢). أمّا ما يقصده الإنجيلي مرقس بهذه التسمية للإنجيل فليس سوى أنّ الله ذاتَه هو الذي يكرز به، أكان ذلك من خلال ابنه(١٣)، أم من خلال ملاك يرسله.

أيًا يكن الأمر في ما يختصّ بالمقدّمة، فإنّه يتّضح من الخاتمة الأصلية، أنّ الإنجيلي، بتشديده على صمت حاملا ت الطيب، قصد التأكيد على أنّ الله هو الذي يكرز بحدث قيامة المصلو "لأجل كثيرين" (مر ١٤: ٢٤). فكلمة الإنجيل هي كرازة الله. وفي الشكل الذي سَردَ فيه حدث القيامة، يوافق القديس مرقس إلى حدٍّ بعيدٍ ما يكتبه الرسول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (آ ١٩—٢٠)، حيث يعلمهم بأنّ الله هو الذي يكرز لهم بالإنجيل، وقائلاً: "فبما أنّ الله كان في المسيح، كان مصالحًا العالم لنفسه غير حاسبٍ لهم خطاياهم، ووضع فينا كلمة المصالحة. إذًا، نسعى كسفراء للمسيح، كأنّ الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله". يذهب الرسول بقوله هذا إلى أنّ كلمة المصالحة، أي الإنجيل، هي كلمةُ الله (طبعًا لا بالمعنى التقني للمصطلح)، وأنّ الإنجيل هو إنجيلُ الله. وفي مكان آخر يشرح الرسول بولس كيف يأتي الإيمان

---

(١٢) يرد التعبير "إنجيل الله" عند الرسول بولس في الآيات التالية: رو ١: ١؛ ١٥: ١٦؛ ١تس ٢: ٢، ٨، ٩؛ ١تي ١: ١١؛ راجع أيضًا أف ٦: ١٩؛ ١تس ٢: ٤. الآية الوحيدة غير البولسيّة التي يرد فيها هذا التعبير نجدها في ١بط ٤: ١٧.

(١٣) يسوع المسيح "ابن الله" (مر ١: ١) هو الذي يكرز بإنجيل الله (١: ١٤).

(١٤) معنى الكلمة ἀκοή (رو ١٠: ١٦—١٧) هو "الأمر الذي يُسمع". رج:
Walter Bauer, *Griechisch-deutsches Wörterbuch zu den Schriften des Neuen Testaments und der frühchristlichen Literatur*, 6. völlig neu bearbeitete Auflage, hrsg. von Kurt Aland und Barbara Aland, De Gruyter, Berlin-New York, 1988.

من سماع الخبر (ἀκοή, 14؛ رو ١٠: ١٧)، والخبر في السياق هو الكرازة بالإنجيل[١٥]، ويردف أنّ الخبر هذا يكون بكلمة المسيح، مؤكّدًا هنا أيضًا ما قاله في ٢كور ٥: ١٩–٢٠، وهو أنّ كلمة الكرازة التي ينقلها الرسل هي كلمة المسيح، فكرازة الرسل ليست سوى امتدادٍ لكلمة الرب[١٦]. وعلى نحو مماثل، عندما يقول الإنجيلي مرقس إنّ النسوة بعد سماعهنّ بشرى القيامة "لم يقلن لأحد شيئًا، لأنّهن كنّ خائفات"، يذهب إلى أنّ كلمة الإنجيل، في نهاية المطاف، ليست كلمةَ بشرٍ، مهما بلغ شأن هؤلاء. الكلمة الأخيرة في "إنجيل الله" المدوّن ليست للنسوة، ولم تكن لأحدٍ سوى لله، الذي شاء أن يتمّم الخلاص بموت ابنه وقيامته (أنظر مر ١٤: ٣٦). وبالفعل لا يُذكر في مرقس أيّ تكليف صريح لحاملات الطيب بأن يكرزن بقيامة يسوع الناصري المصلوب، بل جُلّ ما سألهم الملاك هو تذكير التلاميذ المشكّكين المُربكين بأنّه سيسبقهم إلى الجليل (١٦: ٧؛ راجع ١٤: ٢٨). وإن كان الله ذاته يكرز بإنجيله فلا غرابة إذًا في كيفيّة انتشار بشرى القيامة على الرغم من صمت النسوة!

نقاط التلاقي بين بولس الرسول ومرقس الإنجيلي

تجد الفرضية القائلة بتلاقٍ بين مرقس الإنجيلي وبولس الرسول في اعتبار كلمة الإنجيل كرازة الله ذاته، دعائم مهمّة لها في النقاط اللافتة التي يتّفق فيها الإنجيلي مرقس مع فحوى تعليم الرسول بولس، وسأكتفي في هذا السياق بذكر بعضٍ من أهمّها.

التسمية "إنجيل الله" (τὸ εὐαγγέλιον τοῦ θεοῦ): تأتي غالبيّة استعمالات كلمة "إنجيل" في العهد الجديد في رسائل بولس الرسول، حيث يمكننا التثبّت من المعنى اللاهوتي المركزي الذي لهذا التعبير. فكلمة "إنجيل" عند الرسول

---

(١٥) راجع الآيتين السابقتين (رو ١٠: ١٥–١٦)؛ راجع أيضًا بهذا الصدد المرجع السابق.
(١٦) راجع أيضًا عب ٢: ٣ب.

بولس تشير إلى إتمام الكرازة أو إلى فحواها على حدٍّ سواء، وذلك لأنّ فحوى الكرازة، وهو على الأخصّ موت المسيح وقيامته الخلاصيّة، وكذلك فعل الكرازة هما من عمل الله. فالله ذاته، الذي كان العامل في موت المسيح وقيامته، هو الذي يكرز بكلمة الإنجيل للبشر (٢كو ٥: ١٩). من هنا يسمّي الرسول بولس كرازة الله هذه "إنجيل الله"(١٧)، والذي يسمّيه أيضًا إنجيل المسيح (أو ما شابه)(١٨). ونصادف التسمية "إنجيل الله" تسع مراتٍ في العهد الجديد، سبعٌ منها في رسائل بولس، وواحدة فقط في رسالة بطرس الأولى (١بط ٤: ١٧). كما ينفرد الإنجيلي مرقس من بين الإنجيليين باستعمالها، عندما يعطي، وفي بدايات الإنجيل، معلومةً مفادها أنّ الربّ يسوع جاء إلى الجليل بعد تسليم المعمدان ووضعه في السجن "كارزًا بإنجيل الله" (مر ١: ١٤). ويستعمل الإنجيلي أيضًا، على غرار الرسول بولس، تسمية "إنجيل يسوع المسيح ابن الله" (مر ١: ١)، لا بل أنّه يجعل منها عنوان مؤلّفه. وهدف الإنجيلي من التسمية "إنجيل الله"، كما سبق الشرح أعلاه، لا يختلف أبدًا عن استعمالها عند الرسول بولس.

"أبّا يا أبي"(١٩) (Αββα ὁ πατήρ): من بين الإنجيليين الأربعة، وحده القدّيس مرقس يسجّل لنا صراحةً أنّ الربّ يسوع خلال صلاته في الجسمانيّة، وعندما توجّه نحو الله بعبارة "أيّها الآب"، استعمل الشكل الآرامي "أبّا"(٢٠): "أبّا يا أبي (Αββα ὁ πατήρ)، كلّ شيء مستطاع لديك، أبعد عنّي هذه الكأس" (١٤: ٣٦). نجد شهادة ثانية عن انتشار هذه الصرخة نحو الله (Αββα ὁ πατήρ) بلقب آرامي

---

(١٧) رو ١: ١؛ ١٥: ١٦؛ ٢كور ١١: ٧؛ ١تس ٢: ٢، ٨، ٩؛ ١تي ١: ١١.

(١٨) رو ١: ٩؛ ١٥: ١٩؛ ١كو ٩: ١٢؛ ٢كو ٢: ١٢؛ ٩: ١٣؛ ١٠: ١٤؛ غل ١: ٧؛ في ١: ٢٧؛ ١تس ٣: ٢؛ ٢تس ١: ٨.

(١٩) "أبي" هي الترجمة الدقيقة ὁ πατήρ بحسب ماككاسلاند (S. V. McCasland, "Abba, Father", *JBL* 72 (1953) 79-91)؛ ويوافقه الرأي يواخيم غنيلكا (J. Gnilka, *Markus* II, 260 n. 26).

(٢٠) Joachim Jeremias, *New Testament Theology*, translated by John Bowden, SCM Press, London, 1981, 62.

كمُنادى (Αββα) وإلى جانبه اللقب نفسه في اليونانيّة كمنادى أيضًا (ὁ πατήρ) عند الرسول بولس فقط، وذلك في غل ٤: ٦؛ رو ٨: ١٥. وهذا الشكل غير المعتاد في المخاطبة الذي يستعمله الرسول بولس في شرحه لاهوت التبنّي يعكس صلاة الربّ يسوع قبل آلامه، كما يسجّلها الإنجيلي مرقس(٢١). وما من شكّ في أنّ هذا اللقب هو ipsissima vox(٢٢)، أي أنّه قولٌ ورد على شفتي الربّ يسوع. ولكن، ما كان من الممكن تأكيد صحّة هذا الأمر من خلال رسائل بولس الرسول فقط، لو لم يذكر الإنجيلي مرقس مخاطبة يسوع للآب في الجسمانيّة. إنّ ذكر هذا النداء في تطابق حرفيّ عند مرقس وبولس سهّل التثبّت من هذه الحقيقة.

مشاركة الأمم ميراث إسرائيل (وامتيازاته): يرى بعضهم سبب الاتّفاق اللافت بين الإنجيليَين متّى ولوقا ضد مرقس في إهمالهما "لجميع الأمم"(٢٣) (مر ١١: ١٧ ج؛ راجع مت ٢١: ١٣؛ لو ١٩: ٤٦)، وهي الجملة الأخيرة من الآية (إش ٥٦: ٧) التي يستشهد بها الربّ يسوع في الإنجيل بحسب مرقس خلال تطهير الهيكل من الباعة والمشترين والصيارفة، في قناعتهما بأنّ الهيكل لم يعد موجودًا، وتاليًا بات غير صالح لكي يكون بيت صلاة لجميع الأمم، خصوصًا عندما عرفا أنّ "الأمم" قد وجدوا طريقهم نحو الكنيسة(٢٤). ولكنّ قبول هذا

---

(٢١) راجع Joachim Jeremias, *New Testament Theology*, 65

(٢٢) *Idem*, 67

(٢٣) راجع بهذا الخصوص Joseph Fitzmyer, *The Gospel According to Luke X-XXIV*, The Anchor Bible 28A, Doubleday, New York – London – Toronto – Sydney – Auckland, 1985, 1261.

(٢٤) المرجع السابق ذاته. في حوار شخصي مع الأستاذ السويسري أولريخ لوتس (Ulrich Lutz) في ٢٥ أيلول ٢٠٠٧ تناولنا فيه هذه المسألة، قال لوتس ينبغي علينا أن نقرّ بأننا لا نستطيع البتّ بسبب إهمال "جميع الأمم" في مر ١١: ١٧ ج من قبل متّى ولوقا. ولكن هناك احتمالان ممكنان: الأوّل، وهو الأبسط، وهو أنهما حصلا على نسخة من مرقس لا ترد فيها هاتان الكلمتان، مع الإشارة إلى أنهما تردان في كلّ المخطوطات المتوفّرة لدينا. أما الاحتمال الثاني فهو أنّ الإنجيليَين الآخرَين فضّلا ترك مسألة الإرسال لتبشير الأمم إلى ما بعد القيامة (راجع مت ٢٨: ١٩؛ لو ٢٤: ٤٧؛ أع ١: ٨).

التفسير للتعديل الذي أجراه كلٌّ من الإنجيليَّيْن على النصّ المرقسي لا يقود منطقيًّا إلى الاستنتاج ببساطة أنّ سبب استشهاد مرقس بالآية (إش ٥٦: ٧) هو جهله لمصير الهيكل المشؤوم وتفاؤله بمستقبل زاهر له. يجب بالحريّ أن نفسّر (مر ١٧ ج) باستقلال عن موقف الإنجيليَين متى ولوقا، لا سيّما عندما ننتبه إلى أمرَين مهمّين بهذا الصدد: الأوّل هو لعنة التينة التي شكّلت في مرقس الإطار لقصّة تطهير يسوع للهيكل، والثاني هو فهم الإنجيلي مرقس لمصير الهيكل، كما ينعكس في الآيتَين (مر ١٣: ١–٢)، وأيضًا في ذكره قول الرب يسوع ولو محرّفًا[٢٥] على لسان شهود الزور الذين وجدوا فيه تُهمةً تستحق المحاكمة: "سأدمّر هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيّام أبني آخر غير مصنوع بأيادٍ" (مر ١٤: ٥٨). على صعيدٍ آخر، يرى بولتمان أنّ الإنجيلي مرقس هو من استبدل النصّ الأقدم لما قاله يسوع في الهيكل، والذي حفظه لنا الإنجيلي يوحنّا: "لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة" (يو ٢: ١٦)، وأحد دلائل بولتمان على هذا الاستنتاج هو جملة الإنجيلي مرقس التمهيديّة في مر ١١: ١٧، "وعلّمهم وقال لهم"، التي تشير إلى أنّ القول لا يتناسب مع ما فعله في الهيكل[٢٦]. من المؤكّد، إذًا، أنّ قصد الإنجيلي مرقس من اختيار الاستشهاد، وذكره إش ٥٦: ٧ من دون نقصان، لم يكن واضحًا للإنجيليَين متّى ولوقا، اللذَين أجريَا تعديلاً عليه.

إنّ بيت الصلاة الذي يتحدّث عنه مرقس، والذي سيكون لجميع الأمم، لن يكون مبنيًا بأيادٍ بشريّة، بل من عمل الله، وسيتمّ في ثلاثة أيّام (والإشارة واضحة هنا إلى قيامة الربّ يسوع بعد ثلاثة أيّامٍ من آلامه وموته كما سبق وأعلن في ٨:

---

(٢٥) راجع في خصوص كيفيّة تحريف القول: C. Focant, *Marc*, 550-551

(٢٦) R. Bultmann, *History of the Synoptic Tradition*, Blackwell, Oxford, 1968, 36, نقلاً عن J. Fitzmyer, *Luke*, 1261

٣١ و٩: ٣١ و١٠: ٣٤)[٢٧]. بيت الصلاة هو جسد المسيح القائم بعد ثلاثة أيام ودمه، "دم العهد المهراق لأجل كثيرين" (مر ١٤: ٢٤). هؤلاء الكثيرون هم "جميع الأمم" من دون استثناء، الذين سيكون لهم جسد المسيح الناهض هيكلاً غير مصنوع بيدٍ جامعًا للصلاة النقيّة، وبيتًا للكرازة بخلاص الله. ولا حاجة للفت الانتباه إلى تقارب هذا التعليم مع كرازة الرسول بولس بإنجيل الله "لخلاص كلّ من يؤمن، لليهودي أوّلاً ثمّ لليوناني"[٢٨]، "فلا يوجد تمييز"[٢٩] بينهم؛ "فبالمسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبّة"[٣٠]، وذلك "ليكون الوعد وطيدًا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضًا لمن هو من إيمان ابراهيم الذي هو أبٌ لجميعنا، كما هو مكتوب: إنّي جعلتك أبًا لأمم كثيرة"[٣١].

عندما نأخذ في الاعتبار هذه النقاط المشتركة مع تعليم الرسول بولس، ونفهم بناءً على تعليمه في ٢كو ٥: ١٩ الرسالة التي يوجّهها الرسول مرقس بتركه الكلمة الأخيرة في إنجيل الله لله نفسه، نتأكّد حينئذٍ من الهدف السردي من طريقة نهاية إنجيل الله، فتخفّ المفاجأة والغرابة التي تسبّبهما. ولكن ثمّة نقطة أساسيّة تبقى بحاجةٍ إلى توضيح، وهي دور نهاية الإنجيل في البنية السرديّة بمجملها.

البنية السرديّة للإنجيل

في أيامنا، تُحلَّل البنية السرديّة للإنجيل بحسب مرقس انطلاقًا من اعتبار

---

(٢٧) راجع C. Focant, *Marc*, 551

(٢٨) رو ١: ١٦.

(٢٩) رو ٣: ٢٢.

(٣٠) غل ٥: ٦.

(٣١) رو ٤: ١٦ب–١٧أ.

غياب قصص ظهورات المسيح بعد القيامة، وتذكيرِ الملاك باللّقاء الموعود في الجليل، وصمتِ النسوة، دعوةٌ للقارئ لكي يرى القائم في مجمل السرد، عندما يعيد القراءة منذ البداية على ضوء خبر القيامة. يقال إنّه في الجليل، أي في بداية الإنجيل، سوف يعيد القارئ قراءة المؤلَّف لكي يدرك أنّ من يصنع العجائب ويشفي المرضى ويقيم الموتى ويجادل الكتبة هو المصلوب القائم(٣٢). فبحسب هذا التحليل، كتب الإنجيلي مرقس في بداية الإنجيل ما يعتبره ظهورات المصلوب القائم(٣٣).

هذه المقاربة الجذّابة تنطوي على مغالطات لافتة للانتباه، إضافةً إلى ما تستتبعه من استنتاجات تنقض الأساسيَ في الإيمان المسيحي. وخطر المقاربة التحزريّة هذه يتخطّى حدود دراسة تعليم أحد الإنجيليين، لأنّ الموضوع يتعلّق بمصدر أساسي لإنجيلَين آخرَين، على الأقلّ، هما متّى ولوقا. ولا بدّ لانعكاسات هذه المقاربة السلبيّة على الإيمان المسيحي من أن تتّسع على نحو تصعب السيطرة عليه في ما بعد. فها هو إليان كوفيليه يقرأ حدث التجلّي على ضوء هذا التفسير، مستنتجًا أنّ قيامة المسيح هي استعارة لغويّة لوصف استعلان الله في ضعف الموت إلى جانب المصلوب(٣٤)، ومن حوار المسيح مع الصدّوقيين توصّل إلى اعتبار الإيمان بالقيامة سخافة منافية للعقل(٣٥) يوبّخ المسيح عليها. والقول بأنّ "المسيح قام"، بالنسبة إليه، يعني أنّه سمع كلمة الله مثل إبراهيم فنهض(٣٦). وصار الله الذي علينا أن نحيا في شركة معه "إله يسوع"(٣٧)، لا أبا يسوع.

---

(٣٢) Élian Cuvillier, «La résurrection dans l'évangile de Marc ou: la finale courte... et puis avant?», dans: *Quand la Bible se raconte*, éd. par Daniel Marguerat, Lire la Bible, Cerf, Paris, 2003, 108.

(٣٣) راجع المقالة السابقة.

(٣٤) Élian Cuvillier, «La résurrection», 116.

(٣٥) *Idem*, 117-118.

(٣٦) *Idem*, 119.

(٣٧) *Idem*, 122.

إنّ مقاربة كوفيليه تتّصف بالذاتيّة إلى أقصى الدرجات، فهو يكتفي بممارسة تحزّر غير موثّق بشكل كاف ويفتقر إلى المنهجيّة العلميّة المقبولة، مهملاً الموقع المركزي الذي تحتلّه القيامة في السرد المرقسي. لسنا هنا بصدد نقاش تفاصيل قراءته للإنجيل بحسب مرقس، ولكن من المفيد أن نذكر بعض الاعتراضات الممكن طرحها ضد ركيزة هذه المقاربة، وهي تحليل البنية السرديّة على أساس العودة بالقارئ إلى الجليل لكي يرى ظهورات القائم في أعماله وتعاليمه.

نلاحظ مثلاً أنّ الإنجيل بحسب مرقس لا يبدأ في الجليل، بل في برّيّة اليهوديّة، أضف إلى ذلك أنّ الدارسين يعتبرون نشاط يوحنّا المعمدان بداية إنجيل ابن الله(٣٨). لذا يتساءل المرء بحقّ عن صحّة اعتبار تذكير الملاك باللّقاء في الجليل تلميحًا إلى وجوب العودة إلى بداية الإنجيل لرؤية المصلوب القائم في أعماله وتعاليمه. لعلّ الردّ على هذا الاعتراض هو أنّ طريق الجليل تمرّ ببرّيّة اليهوديّة أوّلاً!

الاعتراض الآخر الذي يُضعف هذه النظرية هو أنّ يسوع الذي يصادفه القارئ في الإصحاحات الأولى من الإنجيل ليس القائم والممجّد(٣٩)، بل تجده يحرص على إحاطة حقيقته كابنٍ لله ومسيحٍ منتظر بسريّة شديدة، ولغايةٍ ما، ناهيك عن أنّ التلاميذ خلال السرد يُظهرون عدم فهم لمعنى القيامة (أنظر مر ٩: ١٠). فما هو إذًا هدف الإنجيلي من إعادته القارئ إلى مرحلةٍ تمهيديّة، بعد أن بلغ به المقام الأسمى، وهو الكرازة بالقيامة. هل يفرض الإنجيلي على القارئ الذي تعلّم حقيقة المسيح، وكيفيّة إكمال التدبير الخلاصي بالصلب والقيامة، أن

---

(٣٨) J. Gnilka, *Markus I*, 42. U. Schnelle, *Einleitung in das Neue Testament*, UTB 1830, Vandenhoeck & Ruprecht, Göttingen, ³1999, 170.

(٣٩) راجع الملاحظتين ٣٢ و٣٣.

يعود في كلّ مرّة إلى المرحلة التمهيدية ليرى الربّ القائم يخفي حقيقته الماسيانية ويظهرها تدريجيًّا حتى تتجلّى في خبر القيامة؟ هل أراد الإنجيلي إبقاء القارئ في حلقةٍ مغلقة لا تنتهي؟ هل بنية الإنجيل السردية دائريّة؟ أم ثمّة تحليل أكثر إقناعًا وأقرب إلى الواقع، قد فهمه القرّاء الضمنيّون (implicit readers) عبر السنين من دون عناء؟

سأحاول في ما يلي، وبناءً على ما سبق شرحه، اقتراح تحليل مختلف للبنية السرديّة ودور القيامة فيها.

على الرغم من أنّ الإنجيل بحسب مرقس لا يروي ظهوراتٍ للربّ يسوع القائم، تستحوذ القيامة على مكانة مركزيّة في النصّ المرقسي من خلال أقوال وقصص عديدة، بعضها يقوّي ترقّبها عند القارئ، وبعضها الآخر يهيّئ هذا الأخير لقبول الكرازة بها، وذلك بالإيمان بيسوع الناصري القائم؛ فإلى جانب إعلانات الربّ يسوع عن آلامه وقيامته، تشعّ قصصٌ كثيرة في هذا الإنجيل نورًا قياميًا، وتسبق فتؤكّد للقارئ قدرة يسوع المسيح على النهوض من بين الأموات. نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر، قصّة إقامة إبنة يائيروس وقصّة إعتاق الصبي الممسوس بالأرواح النجسة، ولا سيّما قصّة التجلّي.

إنّ سرد التجلّي الذي يتوسّط الإنجيل بحسب مرقس (مر ٩: ٢–٨) يمهّد لقيامة السيّد من خلال قصّة معاينة الرسل للمجد الإلهي (آ ٢–٣). والقارئ مدعوٌّ لإدراك حقيقة الربّ يسوع من خلال هذا المشهد ذي المغزى اللاهوتي. إنّ الرب يسوع يتجلّى أمام أعين الرسل، كي يدرك هؤلاء أنّه ليس إنسانًا مائتًا كسائر البشر، بل هو ابن الله الأزلي الحبيب (آ ٧). وعند نزول الربّ يسوع مع التلاميذ الثلاثة من الجبل "أمرهم ألاّ يخبروا أحدًا بما عاينوا إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات" (آ ٩)، وهذا مؤشّر صريح على ارتباط مشهد التجلّي وإمكانية فهمه – فالتلاميذ لم يفهموا ما عاينوا ولا موضوع القيامة من بين

الأموات في ذلك الوقت (راجع آ ٥–٦، ١٠) بحدث القيامة من بين الأموات[٤٠]. إذًا، كان تجلّي الربّ تدبيرًا من باب الظهورات الإلهيّة، يندرج ضمن تلك التي تهدف إلى تعليم التلاميذ تدريجيًّا كيفيّةَ تحقيق التدبير الإلهي الخلاصي الذي "يجب" أن يتمّ[٤١]. القيامة هي مرام السرد منذ بدايته.

أمّا بالنسبة إلى علاقة قصص العجائب بحدث القيامة، فإنّ الفعلين اليونانيين ἐγείρω وἀνίστημι (أقوم) اللّذين يستعملان في الحديث عن قيامة المسيح في العهد الجديد، يردان في قصص العجائب أيضًا (١: ٣١؛ ٢: ٩، ١١، ١٢؛ ٣: ٣؛ ٥: ٤١؛ ٩: ٢٧). طبعًا لا يمكن القول إنّ هذه العجائب تشير صراحةً إلى قيامة المسيح، ولكن لا ريب في تأكيدها للقارئ أنّ ليسوع القدرة على إعادة الموتى إلى الحياة بكلمةٍ فقط، وهذا ما يتبيّن خصوصًا من خلال قصّتَي إقامة ابنة يائيروس (٥: ٢١–٢٤، ٣٥–٤٣) والصبي الممسوس بروحٍ أصمّ (٩: ١٤–٢٩). وما يلفت النظر عند قراءة قصّة شفاء الصبي هي المفردات المستخدمة، والتي ربّما تلمّح إلى ما حدث مع المسيح. نذكر هنا بخاصّةٍ الآيات ٢٦–٢٧: "فصار كميتٍ (ὡσεὶ νεκρός) حتى قال كثيرون إنّه مات (ἀπέθανεν)، فأمسكه يسوع بيده وأقامه فقام (ἤγειρεν αὐτόν, καὶ ἀνέστη)". هذه الكلمات تتردّد هي نفسها في إعلان المسيح لآلامه وقيامته أو في الحديث عنها (٨: ٣١؛ ٩: ٩، ١٠، ٣١؛ ١٠: ٣٤؛ ١٤: ٢٨؛ ١٥: ٤٤؛ ١٦: ٦). إنّ يسوع الآتي من

---

(٤٠) وفي قصّة إقامة ابنة يائيروس أيضًا يأمر الربّ الرسل ذاتهم، الشهود الثلاثة على الحدثَين، بألاّ يطلعوا أحدًا بما جرى. ويعتبر روشيه (G. Rochais, *Les récits de résurrection des morts dans le Nouveau Testament* (MSSNTS 40), Cambridge 1981, 73) أنّ سبب المنع في قصّة الفتاة هو أيضًا عدم إمكانية فهم الحدث قبل قيامة الرب يسوع، رابطًا أمر يسوع في ٥: ٤٣ بالأمر اللاحق في ٩: ٩.

(٤١) راجع "يجب" (δεῖ) في ٨: ٣١ب. ويسمّيها الدّارسون "يجب الإلهيّة" (divine δεῖ)، لأنّ الذي يوجب الأمور التي ترتبط بها هو الله ذاته.

الآب يسير نحو مصيره المرسوم الذي جاء من أجله، وهو بإقامته الموتى بكلمةٍ فقط يُظهر سلطانه على الموت وقدرته على إعطاء الحياة. فحين يبلغ التدبير الإلهي غايته ويموت ابن الله طوعًا ويُسفك دمه عن كثيرين (مر ١٤: ٢٤)، ثم يقوم من بين الأموات، يؤمن الذين عاينوه يقيم الموتى عند سماع البشرى السارة أنّ "يسوع الناصري المصلوب قد قام".

إنطلاقًا من هذا الدور السردي، تتشابه قصص العجائب التي ذكرت على وجه الخصوص مع إعلانات المسيح عن موته وقيامته، وذلك لا من حيث المفردات فحسب، بل من ناحية الهدف الأخير لها. فهي تكشف مسبقًا سلطان يسوع المسيح على الموت وقدرتَه على إعطاء الحياة. وثمّة دليلٌ ساطعٌ يؤكّد هذا الهدف المشترك نجده بعد خاتمة قصّة إعتاق الصبي الممسوس بالأرواح النجسة (٩: ٢٩)، والتي تشهد، كما قلنا، على قدرة الربّ يسوع على غلبة الموت وإعطاء الحياة، عندما يَذكر الإنجيلي مباشرةً بعد ختم القصّة إعلانًا صريحًا آخر للربّ عن آلامه وموته ولا سيّما قيامته في اليوم الثالث(٤٢). فيكون الإصحاح التاسع قد بدأ بمشهد تجلّي الربّ بمجده الإلهي، مرورًا بإظهار سلطانه على الموت وقدرته المحيية، انتهاءً إلى إعلانٍ صريحٍ لمخطّط الله الخلاصي الذي سوف يتحقّق.

إن كان هدف الإنجيلي السردي يتركّز في فقرات الإصحاح التاسع على وجه الخصوص، وذلك لأنّه يشمل الأنواع الثلاثة الممهّدة للإيمان بالقيامة، فثمّة قصص عجائب عديدة في إصحاحات الإنجيل، وأقوال للربّ يسوع، منها ما

---

(٤٢) يتّضح من الصياغة المختلفة في إعلان ٩: ٣١ عن تلك التي في ٨: ٣١ التشديد على القيامة، لأنّ خبر موت المسيح يرد في جملةٍ واحدة بصيغة اسم المفعول في زمن الماضي البسيط (participle aorist passive) ما يخدم لتحديد زمن حصول القيامة (راجع القاعدة في *BDR* §339.1). أمّا في ٨: ٣١ فلدينا فعل يخبر بموت المسيح يُعطف عليه فعلٌ يخبر بقيامته بعد ثلاثة أيّام.

يقوّي ترقّب القيامة عند القارئ، ومنها ما يهيّئه لقبول الكرازة بها، ومن خلالها كلّها يسطع نور قيامة المسيح ضمنًا، كي يدرك القارئ في آخر المطاف أنّ ليسوع القدرة على النهوض من بين الأموات. هكذا، في نهاية مسيرة الربّ يسوع، عندما يبلغ سرد إنجيل الله خاتمته بالحدث الذي يكمّل التدبير الخلاصي، حين يكرز الله بأنّ ابنه الحبيب المصلوب قد قام، يتهلّل القارئ المؤمن بهتاف: آمين.

الخلاصة

إنّ التّحديد الدقيق لإطار إنجيل الله كما دوّنه القدّيس مرقس، من بدايته حتى نهايته، مرورًا بالقصص التي رتّب الإنجيلي تسلسلها، يساعد على تبيان الرسالة القياميّة الأساسيّة في الإنجيل؛ وإن أدرك القارئ الفعلي التعليم المشترك عند كلٍّ من الإنجيلي مرقس والرسول بولس، ومفاده أنّ كرازة الإنجيل هي عمل الله، وأنّ الإنجيل هو إنجيل الله بكلّ ما تحمله العبارة من معانٍ، يصل إلى فهم قصد الإنجيلي من توقّفه عن السرد بعد إعلان ملاك الله قيامة يسوع الناصري المصلوب. فلا يحتار القارئ ولا يبحث عن خاتمة أخرى فقدت، ولا يلقي اللوم على النسوة الخائفات(٤٣)؛ وبكلّ تأكيد، لا يحتاج إلى ابتكار نظريّات تعوّض عن غياب ظهورات القائم في الإنجيل، مع ما يستتبعه هذا الخطأ من استنتاجات هدّامة.

غاية القول، ليست البنية السرديّة دائريّة لا نهاية لها، وليست ناقصة، بل هي تتبع خطًّا مستقيمًا يرمي الإيمان بالقيامة، خاتمةَ إنجيل الله.

---

(٤٣) إنّ الخوف هو عنصر من عناصر النوع الأدبي في رواية الظهورات الإلهيّة وظهورات الملائكة. في مثل هذه الروايات، يخاف متقبّل الرؤية، وأحيانًا يهدّئ المتكلّم معه من جزعه (راجع على سبيل المثال: تك ١٥: ١؛ إستير ٥: ٢؛ دا ١٠: ١٢ في العهد القديم، ثمّ لو ١: ١٢— ١٣؛ ٣٠، ٢: ٩—١٠؛ أع ١٨: ٩ في العهد الجديد). وبقوله إنّ النسوة كنّ خائفات (مر ١٦: ٨) لا يريد الإنجيلي وصف حالتهنّ النفسيّة، بل يوضح أنّهن عاينّ ظهورًا إلهيًّا (وقد سبق ذكر تهدئة الملاك من خوف النسوة في الآية ٦).